

نحو أدب طفولي تفاعلي في ظلّ الذكاء الاصطناعي

Towards an Interactive Children's Literature in the Age of Artificial Intelligence

* فاتح عياد

Fatih Ayad

مخبر التّراسات اللغوية والأدبية

جامعة 20 أوت 1955-سكيكدة (الجزائر)

University of August 20, 1955 – Skikda (Algeria)

Fateh.turk@hotmail.fr

تاريخ النشر: 2025/12/02

تاريخ القبول: 2025/11/05

تاريخ الإرسال: 2025/09/15

ملخص البحث

يُعدّ أدب الطفولة ركيزة في البناء التربوي والثقافي، لما يقدّمه من أثر في وجدان الطفل وخياله وقيمه. ومع التحوّل الرقمي الراهن، تبرز الحاجة إلى توظيف الذكاء الاصطناعي في هذا الأدب. تنطلق الدراسة من إشكالية: كيف يسهم الذكاء الاصطناعي في تنمية الإبداع لدى الطفل من خلال الأدب الموجه إليه؟

يُبنى البحث على المنهج الوصفي التحليلي، واستند إلى فرضية أنّ دمج الذكاء الاصطناعي في الوسائط الأدبية يرفع من مستوى التفاعل والإبداع متى رُوّعت خصوصيات الطفل.

خلصت النتائج إلى أنّ الوسائط الرقمية الذكية تمنح فرصًا واسعة لتنمية الخيال والإبداع، شريطة وعي المربين بالتوازن التربوي والتكنولوجي، مع ضرورة مواءمة المحتوى مع البيئة والثقافة المحلية. وتقتصر الدراسة إعادة تصميم برامج أدب الطفل وفق هذه المعطيات، مع إشراك خبراء الطفولة والتقنيات التعليمية.

الكلمات المفتاحية: أدب، طفل، ذكاء اصطناعي، إبداع.

Abstract :

Childhood literature is a key pillar in shaping children's imagination, values, and emotions. With the digital shift, integrating artificial intelligence becomes essential. This study explores the question: How can AI foster children's creativity through literature?

Using a descriptive-analytical approach, it assumes that AI-based media can enhance interaction and creativity if children's psychological and cultural contexts are respected.

* فاتح عياد : Fateh.turk@hotmail.fr

Findings show that intelligent digital tools expand opportunities for imagination and creativity, provided educators balance pedagogical and technological aspects. The study recommends redesigning children's literature programs with input from child psychology and educational technology experts.

Keywords: literature, child, artificial intelligence, creativity.



مقدمة:

يعدّ أدب الأطفال مجالاً تربوياً وجمالياً يسهم في تشكيل وعي الطفل وصقل خياله وتنمية قيمه، وهو فنّ أدبي متجدّد يجمع بين المتعة والتثقيف، ويتوجّه إلى الطفولة باعتبارها مرحلة تأسيسية في بناء الشخصية الإنسانية. ومع التحوّلات الرقمية المعاصرة، أضحي من الضروري إعادة النظر في أدوات هذا الأدب ووسائله بما يتلاءم مع بيئة الطفل الجديدة.

تنطلق هذه الدراسة من إشكالية محورية: كيف يمكن لأدب الأطفال أن يستثمر تقنيات الذكاء الاصطناعي لتنمية الفكر والإبداع الطفولي؟

وتهدف إلى الكشف عن سبل التكامل بين الأدب التقليدي والوسائط الذكية، بما يعزز التفاعل والتخيل والإبداع لدى الطفل، ويؤسس لتجربة قرائية وتربوية أكثر عمقاً وفاعلية.

ينقسم هذا البحث إلى أربعة عناصر أساسية: أولها يتناول أدب الطفل والطفولة من حيث المفهوم والجذور النظرية؛ وثانيها يركّز على علاقة الطفل بالبيئة المدرسية ودوره في تحفيز العمل الإبداعي؛ وثالثها يعرض معايير تنمية الإبداع لدى الطفل، تربوياً وتقنياً؛ أما رابعها فيسلط الضوء على الذكاء الاصطناعي وأدب الأطفال باعتبارهما أفقاً جديداً لتنمية الفكر والابتكار. وتتكامل هذه العناصر لرسم صورة شاملة عن دور الأدب في تشكيل شخصية الطفل، وتعزيز قدراته في ظلّ التحولات الرقمية المعاصرة.

وتأتي هذه الدراسة لتؤكد أن الاستثمار في الإبداع الطفولي ليس ترفاً تربوياً، بل هو خيار استراتيجي لمستقبل الأمة. فكل طفل مبدع اليوم، هو ركيزة لعقلٍ مفكّرٍ ومبتكرٍ في الغد.

أولاً- أدب الطفل والطفولة:

1- الطفولة:

أ- تعريف الطفولة لغة:

الطفل في اللغة هو المولود حتى البلوغ، والطفولة هي مرحلة من الميلاد حتى البلوغ، وهي أيضاً الفترة التي يكون خلالها الوالدان هما الأساس في وجود الطفل وفي تكوينه عقلياً وجسمياً.¹

ب- تعريف الطفولة اصطلاحاً:

تُعَدّ الطفولة، من وجهة نظر علماء الاجتماع، مرحلة تأسيسية في الحياة الإنسانية، يعتمد فيها الطفل اعتماداً تاماً على والديه، وتُمثّل الجسر الذي يعبر من خلاله نحو النضج الشامل (الجسدي، العقلي، النفسي، الاجتماعي، الروحي). وهي فترة تتكوّن خلالها الشخصية الفردية وتبدأ فيها ملامح التفاعل الاجتماعي والتطور المعرفي في التبلور.

وقد تمّ تحديد هذه المرحلة زمنياً بناءً على دراسات في علم نفس الطفل، ومن أبرز من قدّم تعريفاً واضحاً لها حامد زهران، الذي يقول: "بأنّها مرحلة تمتدّ منذ الميلاد وحتى بداية المراهقة. وهي فترة زمنية يبلغ طولها اثنتي عشرة سنة تطرأ فيها تغيّرات هائلة على الطفل"²

ورغم أنّ الطفل في نهاية هذه المرحلة يصبح مؤهلاً نسبياً للقيام بعدّة مهام، إلا أنّه لا يزال بحاجة إلى التوجيه والإشراف، نظراً لافتقاره إلى الخبرة الحياتية الكافية.

ويتموّل الطفل نفسياً وعقلياً من خلال تفاعله مع الآخرين، ويتشكّل لديه مفهوم الذات تبعاً لما يتلقاه من تقيّمات ومواقف داخل الوسط الاجتماعي، سواء في الأسرة أو في المدرسة. فالطفل "ينشأ في نطاق أسرة تداوم على إمداده بالرعاية والحماية... فتتكوّن لديه رابطة قويّة بالقائمين على رعايته، تؤثر على سلوكه إلى حدّ كبير."³

2- مفهوم أدب الطفل:

يُعدّ أدب الطفل ميداناً تربوياً وتثقيفياً هاماً يُعنى بتشكيل وعي الطفل وتغذيته وجدائياً ومعرفياً. ويُقصد به مجمل الإنتاجات الأدبية الموجهة إلى الأطفال، والتي تراعي مستواهم اللغوي والإدراكي، وتقدّم لهم ضمن قالب فني ممتع، يتناسب مع خصائص مرحلتهم العمرية.

وقد عُرّف أدب الطفل بأنّه "نوع أدبي متجدّد في أدب أي لغة، وفي أدب لغتنا هو ذلك النوع الأدبي المستحدث من جنس أدب الكبار (شعره ونثره وإثره الشفاهي والكتابي)، فهو نوع أخص من جنس أعم يتّجه لمرحلة الطفولة، بحيث يراعي المبدع المستويات اللغوية والإدراكية للطفل، تأليفاً طازجاً أو إعادة بالمعالجة من إرث سائر الأنواع الأدبية المقدّمة له، ومن ثمّ يرقى بلغتهم وخيالاتهم ومعارفهم واندماجهم مع الحياة، بهدف التعلّق بالأدب وفنونه لتحقيق الوظائف التربوية والأخلاقية والفنية والجمالية."⁴

ويرى الدكتور إسماعيل عبد الفتاح أنّ "أدب الأطفال هو أدب واسع المجال، متعدّد الجوانب، ومتغيّر الأبعاد... فأدب الأطفال لا يعني مجرّد القصة، أو الحكاية النثرية أو الشعرية، وإنما يشمل المعارف النفسية كلّها..."⁵

ويُعتبر مفهوم "أدب الأطفال" اصطلاحاً حديث النشأة، إذ لم يبرز كمصطلح مستقلّ إلّا في العقود الأخيرة من القرن العشرين، رغم وجود إرهابات له مع رواد الأدب العربي الحديث، ومنهم أحمد شوقي في الشعر، وكامل كيلاني في القصة، وظهور مجالات الطفل.

ويقول الشاعر أحمد شوقي في مقدّمة الشوقيات: "...أتمنّى لو وقفتي الله لأجعل للأطفال المصريين -مثلما جعل الشعراء للأطفال في البلاد المتمدّنة- منظومات قريبة المتناول، يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم..."⁶

وقدّم الأديب السوري عادل أبو شنب تعريفاً إضافياً يميّز بين المعارف العامة والتنتاج الأدبي الموجه للطفل، قائلاً: "يتحدّد مفهوم أدب الأطفال ضمن معايير نظرية الأجناس الأدبية، القصة والقصيدة والمسرحية... فبين أن نكتب للأطفال وبين أن ننشئ أدباً للأطفال فارق شاسع..."⁷

يتضح من هذه التعريفات أنّ أدب الأطفال لا يقتصر على المحتوى بل يشمل الشكل والأسلوب واللغة، بما يلائم ميول الطفل وحاجاته النفسية والتربوية والجمالية.

ولا يخفى أنّ هذا اللون الأدبي لم يعد يقتصر على التسلية أو التثقيف البسيط، بل أصبح حقلاً معرفياً وتربوياً قائماً بذاته. فهو يهدف إلى بناء شخصية الطفل المتوازنة، وتنمية خياله، وتعزيز قدراته اللغوية والفكرية. كما أنّه يمثل وسيلةً فاعلةً لغرس القيم الاجتماعية والإنسانية في وجدان الناشئة، بما يتلاءم مع خصوصيات كل مرحلة عمرية.

ثانياً- الطفل والعمل الإبداعي:

1- علاقة الطفل بالمحيط المدرسي:

بمجرد دخول الطفل إلى المدرسة، يبدأ في بناء شبكة من العلاقات الاجتماعية الجديدة، سواء مع زملائه داخل الصف وخارجه، أو مع معلميه. فالمدرسة، كما يُنظر إليها اليوم، لم تعد مجرد مكان لتلقي المعلومات، بل أصبحت مجتمعاً صغيراً يتفاعل فيه الأطفال مع مختلف الفاعلين التربويين. وفي هذا السياق، فإن العلاقة بين المتعلمين ومعلميهم تؤثر تأثيراً بالغاً في صياغة البيئة المدرسية وتوجيه سلوك الأطفال.

وللمعلم، في هذا المحيط، دور جوهري لا يقتصر فقط على نقل المعرفة، بل يتعداه إلى تشكيل الجوانب العاطفية والنفسية للطفل، إذ يمثل قدوة تربوية ونموذجاً سلوكياً، يحاول الطفل تقليده والانضباط على خطاه.

وفي سبيل تنمية مهارات الطفل العقلية وتوسيع آفاق تفكيره، تلجأ المؤسسات التربوية إلى اعتماد اختبارات الذكاء في المراحل الأولى من التعليم، ولا سيما من سنّ 3 إلى 9 سنوات. وقد وضعت الباحثة إجلال محمد سري معايير دقيقة في تصميم هذه الاختبارات، ومن أهمها:

"- أن تكون التعليمات موحدة مما يوفّر الجهد في عملية إجراء الاختبار، ويضمن الاستمرار في الأداء بمجرد فهم التعليمات البسيطة والأمثلة التدريبية.

- أن تكون الوحدات متنوّعة شكلاً وموضوعاً في حدود طريقة الأداء الموحدة، فتمثّل عينات من مظاهر الحياة العقلية العامة، إلى جانب إدراك العلاقات، وما يقيس القدرة على الاستدلال اللفظي، والعددي، والتفكير، والمعلومات العامة."⁸

تُظهر هذه الاختبارات مدى ذكاء الطفل واستعداده للتعلّم، كما تكشف عن طاقاته الإبداعية المحتملة، مما يتيح فرصاً تربوية أفضل في تعزيز قدراته وتنميتها.

2- تنمية الروح الإبداعية للطفل:

تُشير الدراسات النفسية والتربوية إلى أن نسبةً كبيرة من مكونات الشخصية الإنسانية — على المستويات الوجدانية والسلوكية والمعرفية — تتشكّل خلال السنوات الخمس الأولى من عمر الطفل، إذ يرى الباحثون أنّ

"الطفولة كالكتاب المفتوح الأبيض الصفحات، يسجل فيه كل ما يؤدّ صاحبه، أو يرد عليه من حوادث وأحداث تعرض عليه أو تقع في محيطه، أو انطباعات ترسم في مخيلته أو ذاكرته."⁹ ومن هذا المنطلق، فإن تنشئة الطفل في بيئة محفزة، وإعداده تربوياً بشكل سليم منذ المراحل المبكرة، يُعدّ من أولويات التربية الحديثة، سواء داخل المدرسة أو خارجها.

وقد عبّر الشعر العربي القديم عن هذه الفكرة التربوية ببلاغة حين قال:

"إذا المرء أعيته المرأة ناشئاً
فطلبها -كهلاً- عليه شديد"¹⁰

فالاستثمار في تربية الطفل خلقاً وسلوكاً في سنيّه الأولى، يُنتج فرداً سويّاً قادراً على التفاعل مع الحياة بفاعلية وإيجابية. وتُعدّ تنمية الإبداع لدى الطفل إحدى أولويات التربية الحديثة، لأنّ الإبداع لا يُعدّ ترفاً، بل هو حاجة تربوية ملحة في ظلّ عالم متغيّر يعتمد على الابتكار والتفكير النقدي. ولذا، ينبغي أن توفّر للأطفال المناخات والفرص المناسبة لاستكشاف ذواتهم، وتفعيل خيالهم، وتحفيز قدراتهم على الابتكار، من خلال أنشطة أدبية، وفنية، وعلمية، وحتى حياتية بسيطة، تفسح لهم المجال للتمزّن على التفكير المستقل، والانفتاح المعرفي، والتفاعل مع العالم.

ثالثاً- معايير تنمية الإبداع لدى الطفل: التربوية والتقنية

يُعدّ الإبداع أحد الركائز الأساسية في بناء شخصية الطفل المتكاملة، ومفتاحاً لتقدّم الأم وازدهارها، فحين يُتميّز الإبداع في المراحل المبكرة من العمر، تُوضع البذور الأولى لطفل مميّز قادر على التفكير النقدي، والتحليل، والابتكار، وحل المشكلات.

وقد أكّد العديد من المفكرين والمربين على أهمية هذه النقطة، ومن ذلك ما ورد في إحدى الدراسات: "الطفل هو الثروة الأساسية للأمة، ومن ثم فإنّ تنمية القدرة الخلاقة والمبدعة تصبح هي الهدف الأسمي لأيّ تشييف إذا ما أردنا للمجتمع أن يرقى وينهض، وإذا ما قصدنا للأمة نماءً اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً..."¹¹ يتّضح من هذا القول أنّ الإبداع ليس مجرد ميزة فردية، بل هو قيمة مجتمعية كبرى، وشرط من شروط التنمية المستدامة.

1- المعايير التربوية والتكوينية:

لبلوغ الهدف من توظيف الذكاء الاصطناعي في أطب الطفل، ينبغي مراعاة معايير تربوية وتكوينية دقيقة، منها:

أ- خلق بيئة محفزة على الإبداع:

يحتاج الطفل إلى مناخ نفسي آمن، يشعر فيه بالقبول والتقدير، ويُتاح له التعبير عن أفكاره بحريّة دون خوف من السخرية أو العقاب. فالقمع والكبت من أشدّ أعداء الإبداع.

ب- تقديم محتوى غني ومتنوع:

ينبغي توفير مواد أدبية وعلمية وفنية متنوعة تناسب ميوله ومستوى نموه، وتثير فضوله، وتدفعه إلى التساؤل والاكتشاف. فكلّما تعرّض الطفل إلى تجارب معرفية ممتعة، زادت فرص نموّ خياله وقدراته الإبداعية.

ج- التشجيع على طرح الأسئلة:

يبدأ الإبداع من السؤال، لا من الإجابة، وعلى المربي أن يشجع الطفل على التساؤل، لا أن يُملي عليه الحقائق. فالأسئلة تعكس حركة العقل، وتفتح نوافذ جديدة للتفكير.

د- دعم المحاولات وتقبل الأخطاء:

ينبغي ترسيخ ثقافة لدى الطفل بأنّ الخطأ ليس فشلاً، بل خطوة في طريق التعلم. فالخوف من الخطأ يقتل الجرأة، ويمنع الطفل من التجريب والابتكار.

هـ- تنويع وسائل التعبير:

قد يُدع طفلاً في الرسم، وآخر في الحكاية، وثالث في تركيب الأشياء. وعلى المربي أن يُتيح مجالات متعدّدة للتعبير الإبداعي (القصة، الشعر، التمثيل، الرسم، الموسيقى...)، ليتمكن كل طفل من اكتشاف موهبته الخاصة. من خلال هذه المعايير، يتضح أنّ تنمية الإبداع لدى الطفل ليست مهمة تلقائية، بل مشروع تربوي متكامل، يستدعي وعياً بخصائص الطفولة، وفهماً لطبيعة التفكير الإبداعي، ورؤية تستثمر في المستقبل من خلال العقل الطفولي المتنوّج.

2- المعايير التقنية الإبداعية:

تُسهّم تقنيات الذكاء الاصطناعي في توسيع فضاءات الإبداع الطفولي، إذ تتيح بيئات تفاعلية ذكية تجعل التعلم أكثر حيوية، وتحوّل الخيال إلى تجربة واقعية ومتجدّدة. ونذكرها فيما يأتي:

أ- تحفيز الخيال باستخدام الوسائط الذكية:

توفر تقنيات الذكاء الاصطناعي بيئة تفاعلية ثريّة تساعد الطفل على بناء العوالم الخيالية، كالروايات التوليدية، أو القصص التشاركية، أو الألعاب التربوية التي تتيح التفكير الإبداعي والقدرة على اتخاذ القرار.

ب- خلق بيئة تعلم شخصية ومرنة:

تُمكن تقنيات الذكاء الاصطناعي من بناء مسارات تعلم مُخصّصة حسب قدرات الطفل واهتماماته، مما يسمح له بالانطلاق في تجاربه الفكرية دون تقييد، وهو ما يساهم في تشكيل شخصيته المتميّزة.

ج- استخدام الأدوات التوليدية لتعليم الإبداع:

منصات الذكاء الاصطناعي التي تولّد نصوصاً أو صوراً أو مقاطع موسيقية، يمكن أن تكون أدوات تعليمية فعّالة تتيح للطفل تقليد أنماط إبداعية، ثم تجاوزها بابتكاراته الخاصة، مما يدرّبه على الخلق الفني دون قوالب جامدة.

د- التركيز على القيم الإنسانية:

رغم سطوة التكنولوجيا، فإنّ الطفل لا يزال يحتاج إلى الحبّ، والدّعم، والقبول. فالإبداع الحقيقي لا يولد من معالجات البيانات فقط، بل من بيئة عاطفية آمنة تُشجّعه على التجريب، وتحتضن إخفاقاته بنفس حرصها على نجاحه.

من هنا، فإنّ دمج الذكاء الاصطناعي في التربية الإبداعية لا يعني التخلّي عن المبادئ التربوية، بل إعادة صياغتها وفق المعطيات الجديدة. فكلّ طفل هو مشروع مبدع، وإذا ما دُعِم بالتكنولوجيا، والتشجيع، والخيال، غدا صانعاً للمستقبل لا مستهلكاً له فقط.

رابعاً- الذكاء الاصطناعي وأدب الأطفال: أفق جديد لتنمية الفكر والإبداع:

تتجلى العلاقة بين الذكاء الاصطناعي وأدب الأطفال في بعدين رئيسيين: الأول يتمثل في دورهما المشترك في تنمية الإبداع لدى الطفل، المشتركة لتنمية الإبداع الطفولي، والثاني في الدور العملي الذي يلعبه الأدب، مدعوماً بالتقنيات الحديثة، في صقل الفكر والابتكار. وانطلاقاً من هذين البعدين يمكن تناول المسألة وفق المحاور الآتية:

1- أهمية الذكاء الاصطناعي في تنمية الإبداع الطفولي:

في ظلّ التحوّلات الرقمية الكبرى التي يشهدها العالم اليوم، يبرز الذكاء الاصطناعي كقوة دافعة نحو إعادة تشكيل طرق التعلم، وأساليب التفكير، بل وحتى نماذج الإبداع. ولم يعد من الممكن الحديث عن تنمية الإبداع لدى الطفل دون استحضار البيئة التكنولوجية التي يعيش فيها، والتي باتت تتغلغل في تفاصيل حياته اليومية. فالإبداع، في هذا السياق، لا يُنظر إليه كموهبة فطرية فحسب، بل كمهارة مركّبة تتشكل بالتفاعل بين العقل البشري والآلة، بين الخيال والمعلومة، بين السؤال والخوارزمية، وهو ما يجعل من الأدب الموجّه للأطفال بيئة خصبة لتفعيل هذا التفاعل وتنمية الحسّ الابتكاري لديهم. وقد أشار بعض الباحثين إلى هذه الأهمية البالغة للإبداع في بناء الأمم وتقدّمها، في هذا السياق، لا يصبح الذكاء الاصطناعي تهديداً للطفولة، بل فرصة ذهبية لتعزيز قدراتها الإبداعية.

2- تنمية الفكر والابتكار الطفولي:

في العصر الرقمي المتسارع، لم يعد الأدب الموجّه للأطفال وسيلة للترفيه فحسب، بل أصبح من أهم الأدوات التربوية التي تسهم في تشكيل عقل الطفل، وتنمية مهاراته الإبداعية، خاصة إذا ما استثمر جنباً إلى جنب مع أدوات الذكاء الاصطناعي الحديثة.

فالأدب، بوصفه حافزاً للخيال والابتكار، يجد اليوم في تقنيات الذكاء الاصطناعي وسيطاً قوياً لمضاعفة أثره في توسيع آفاق الطفل وتعزيز فكره. فالأدب التقليدي، حين يُدمج مع الوسائط التفاعلية المدعّمة بالذكاء الاصطناعي، يتحوّل إلى تجربة تعليمية حيّة تميّ التفكير النقدي، وتُشجّع على حلّ المشكلات، وتحفّز على الاستكشاف والمغامرة المعرفية.

وتزداد أهمية هذا التكامل عندما ندرك أنّ الطفل لا يحتاج فقط إلى إجابات جاهزة، بل إلى وسائط تعلم تتيح له خوض التجربة بنفسه، وتدفعه إلى التساؤل والتفاعل، لا مجرد التلقي السلبي. فالأدب الموجّه للصغار، حين يُقدّم بأساليب تفاعلية تعتمد على الذكاء الاصطناعي، يفتح أمام الطفل مساحة أرحب للتخييل والاكتشاف، ويمنحه أدوات مرنّة لبناء فهمه الخاص للعالم.

بالإضافة إلى ذلك، فإن إدماج تقنيات الذكاء الاصطناعي في تصميم وتطوير الأدب الموجّه للأطفال، كاستخدام الحكايات التوليدية أو تطبيقات الواقع المعزّز أو الكتب التفاعلية، يُمكن الطفل من:

- تنمية مهارات البحث والاكتشاف، من خلال ألعاب وقصص تطرح ألغازاً وأسئلة تستدعي التفكير المنطقي.
- تطوير روح المغامرة والاستطلاع، باستعمال الحكايات التفاعلية التي يتغيّر مسارها حسب خيارات الطفل.
- تعزيز الثقة بالنفس، لأنّ الطفل يشارك في صنع الحلّ، ويشعر بدوره في توجيه النهاية أو التغيير.

بالإضافة إلى كونه يمنحهم الثقة بالنفس، ويولّد فيهم حب المغامرة والاستطلاع، "والتأفع للإنجاز الذي يدفع إلى المخاطرة العلمية المحسوبة من أجل الاكتشاف والتحرّر من الأساليب المعتادة للتفكير، والميل إلى البحث في الاتجاهات الجديدة، والإقدام نحو ما هو غير يقيني، وتفحص البيئة بحثًا عن الخبرات الجديدة، والمثابرة في الفحص والاستكشاف من أجل مزيد من المعرفة لنفسه وبيئته"¹²

والأهم، أن الذكاء الاصطناعي يمنح أدب الطفل إمكانات غير مسبقة للاندماج الفعلي مع القصة، فيصبح الطفل فيها جزءًا حيًا، لا متلقيًا سلبيًا.

إنّ الربط بين الأدب الموجه للأطفال والذكاء الاصطناعي لا ينبغي أن يُنظر إليه باعتباره مجرد تكنولوجيا مساعدة، بل كاستراتيجية تعليمية وتربوية شاملة تدمج بين الكلمة والصورة، وبين الخيال والتقنية، وبين القراءة والتفاعل، لإنتاج جيل قارئ ومفكر ومبتكر في آنٍ معًا.

خامسًا- الوسائط الرقمية وأدب الأطفال في ظل الذكاء الاصطناعي:

في ظل التحوّلات التكنولوجية المتسارعة، لم يعد أدب الأطفال يقتصر على الوسائط التقليدية كالكتب المطبوعة والمجلات الورقية، بل بات يستثمر بقوة الوسائط الرقمية، وخاصة تقنيات الذكاء الاصطناعي (AI)، بما يتيح من إمكانيات هائلة للتفاعل، والمحاكاة، والتخصيص حسب عمر الطفل وميوله.

لقد تطورت أدوات إيصال أدب الطفل تطورًا لافتًا، فانتقلت من الكلمة المطبوعة إلى الحكاية الرقمية، والتقصص التفاعلية، والتطبيقات الصوتية، والكتب الذكية المدعّمة بالصوت والصورة والذكاء الاصطناعي، والتي تتيح للطفل التفاعل مع النصوص في بيئة تعلم حية، وتوفر له فرصًا لتوسيع خياله ومهاراته اللغوية والمعرفية.

يقول أحد الباحثين: "الوسائط الحديثة كالإذاعة والتلفزيون والسينما و الأسطوانة و الانترنت، هي وسائل اتصال متطورة تمّ اختراعها بغية تيسير عملية إيصال المعلومات في مدّة زمنية قصيرة، وجهد قليل..."¹³

وفي هذا السياق، يمكن للذكاء الاصطناعي أن يُحدث ثورة في صناعة أدب الطفل عبر:

- القصص التوليدية (Generative Stories) التي تتغيّر أحداثها بناءً على تفاعل الطفل مع مجريات النص.
- الروبوتات الحكائية التي تقرأ القصص بصوت بشري تفاعلي وتجيب على أسئلة الأطفال.
- الواقع المعزز (AR) الذي يدخل الطفل في قلب الحكاية، ليتفاعل مع شخصياتها وأحداثها.
- تحليل تفضيلات الطفل وتقديم محتوى مخصص يتوافق مع مستوى فهمه واهتماماته، وهو ما تتيحه خوارزميات الذكاء الاصطناعي.

كما يُحافظ الأدب على وظائفه التربوية والترفيهية، لكن بصيغة رقمية حديثة تُغري الطفل وتواكب اهتماماته الجديدة. فالتلفاز، مثلاً، يتحوّل إلى أداة تفاعلية، والقرص المضغوط يصبح بيئة سمعية بصرية، والكمبيوتر منصة لصياغة القصص واللعب بها، والإنترنت مكتبة مفتوحة على الأدب العالمي بأكثر من لغة وصيغة.

إنّ "هذا الصندوق المسحور هو هدية الحضارة إلى طفل اليوم... وما أجدره أن يلقي مئًا ما يستحقّه من عناية واعية مخطّطة، لنصل به إلى قمة فعاليته في نفس الطفل بآثار محسوبة..."¹⁴ كما أن "الصوت الإذاعي يتحمّل أعباء ثقيلة من أجل أن يشد بأذني الطفل إليه... ومع هذا توفّر له تقديم ألوان فنية زاخرة من أدب الأطفال..."¹⁵

وإذا كانت هذه الوسائط الحديثة قد ساهمت في تعزيز الاستقبال لدى الطفل، فإن إدماج الذكاء الاصطناعي يُضيف لها بعدًا معرفيًا وتربويًا غير مسبوق، لأنه يمكن أن:

- يُراقب تطور استيعاب الطفل ويتفاعل معه آليًا.
- يُصحح نطقه أو إجاباته أثناء اللعب أو القراءة.
- يدمج بين الأدب والبرمجة، فيعلم الطفل كيف يصنع حكاياته بنفسه.

وبذلك، يصبح الذكاء الاصطناعي ليس فقط وسيلة لإيصال الأدب، بل مكونًا من مكوناته، يشارك في صناعة المعنى وتوجيه خيال الطفل، وينقل أدب الأطفال من مجرد خطاب إلى تجربة ذكية متكاملة.

خاتمة:

يكشف التقدم التكنولوجي المتسارع، خاصة في مجال الذكاء الاصطناعي، عن إمكانات غير مسبوقة في إعادة تشكيل بنية أدب الطفل من حيث المضمون والوسيط والوظيفة التربوية. فقد أصبح الطفل، بفضل هذه الطفرات التقنية، متلقيًا ومشاركًا وفاعلًا في بناء التجربة القرائية، من خلال منصات تفاعلية ذكية تعيد صياغة العلاقة بينه وبين النصّ دون أن تُقصي دور الأديب الخلاق الذي يوجه هذا التفاعل، وبما يخدم حاجات الطفل في عصر الذكاء الاصطناعي، مع الحفاظ على القيم الجمالية والإنسانية التي يبقى الأديب هو المؤتمن عليها والمبدع فيها.

لقد بينت الدراسة أنّ أدب الطفل لم يعد حبيس القوالب التقليدية الورقية أو الشفهية، بل صار يفتح على عوالم الوسائط المتعددة، من كتب رقمية، وتطبيقات تعليمية، وألعاب تفاعلية، وقصص تولّدها الخوارزميات وفق معايير ذوق الطفل وسنّه واهتماماته. وهذا التغير العميق لا يُعني الأدباء والمربين من مسؤولية التجديد في الخطاب الأدبي والتربوي، بما يخدم حاجات الطفل في عصر الذكاء الاصطناعي.

ومن أبرز نتائج الدراسة نذكر:

- ✓ الطفولة مرحلة تأسيسية للخيال والإبداع، وأدب الطفل هو الوسيط الأمثل لصقل هذه الملكات.
- ✓ أدب الطفل في صورته الحديثة أصبح متعدد الوسائط، يزاوج بين الخيال السردي والوسائط الذكية، ويوفر بيئة محفزة على الاكتشاف والتفاعل.
- ✓ الذكاء الاصطناعي ليس بديلًا عن الأديب، بل أداة داعمة له في تقديم محتوى مُوجّه ومخصص وآمن للطفل، مع بقاء الحسّ الإنساني والخيال الأدبي في صلب العملية الإبداعية.
- ✓ الوسائط السمعية والبصرية (تلفزيون، إذاعة، سينما، إنترنت، أقراص مضغوطة) تسهم بفعالية في تعميق المعارف وتغذية الخيال، وتشكيل الحسّ الجمالي والغوي لدى الطفل.
- ✓ الإبداع الطفولي قابل للتنمية من خلال محفزات لغوية وبصرية ووجدانية، توفرها أدوات الذكاء الاصطناعي متى تمّ توظيفها بطريقة تربوية رشيدة.

هوامش:

- ¹ - تامر المغاوري محمد الملاح، (2015-2016) الكمبيوتر في الطفولة المبكرة، ماجستير، مصر، تكنولوجيا التعليم، كلية التربية، جامعة الاسكندرية، ص 6.
- ² - سميحة محمد علي محمد عطية، (2001)، إدراك الأطفال لشبكة علاقاتهم الاجتماعية: دراسة وصفية مقارنة، ماجستير، مصر، قسم الدراسات النفسية والاجتماعية، معهد الدراسات العليا للطفولة-جامعة عين شمس، ص 26.
- ³ - المرجع نفسه، ص 14.
- ⁴ - أحمد زلط، 1994، أدب الطفولة بين كامل كيلاني ومحمد الهراوي: دراسة تحليلية ناقدة، القاهرة، دار المعارف، ص 30.
- ⁵ - اسماعيل عبد الفتاح، 2000، أدب الأطفال في العالم المعاصر: رؤية نقدية تحليلية، ط 1، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب، ص 18.
- ⁶ - أحمد زلط، 1994، أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال، ط 1، مصر، دار النشر للجامعات المصرية، ص 104.
- ⁷ - عادل أبو شنب، 1975، أدب الأطفال في سوريا، مؤتمر الأدباء العاشر، ج 1، ص 594، ص 191-200.
- ⁸ - إجلال محمد سرى، 1988، اختبار ذكاء الأطفال، ط 2، القاهرة، عالم الكتب، ص 1.
- ⁹ - محمد حسن بريغش، 1996، أدب الأطفال: أهدافه وسأته، ط 2، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ص 14.
- ¹⁰ - أحمد زلط، 1997، أدب الطفولة: أصوله ومفاهيمه رؤى تراثية، ط 4، القاهرة، الشركة العربية للنشر والتوزيع، ص 23.
- ¹¹ - حسن شحاتة، 1994، أدب الطفل العربي: دراسات وبحوث، ط 2، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ص 11.
- ¹² - حسن شحاتة، أدب الطفل العربي: دراسات وبحوث، ص 12.
- ¹³ - عبد الفتاح أبو معال، 1988، أدب الأطفال: دراسة وتطبيق، ط 2، عمان-الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع، ص 135.
- ¹⁴ - أحمد نجيب، 1991، أدب الأطفال، ط 1، القاهرة، علم وفن، دار الفكر العربي، ص 251.
- ¹⁵ - هادي نعان الهيتي، 1986، أدب الأطفال: فلسفته، فنونه، وسائله، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ص 338.

قائمة المراجع:

الكتب:

- 1- إجلال محمد سرى، 1988، اختبار ذكاء الأطفال، ط 2، القاهرة، عالم الكتب.
- 2- أحمد زلط، 1994، أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال، ط 1، مصر، دار النشر للجامعات المصرية.
- 3- أحمد زلط، 1997، أدب الطفولة: أصوله ومفاهيمه رؤى تراثية، ط 4، القاهرة، الشركة العربية للنشر والتوزيع.
- 4- أحمد زلط، 1994، أدب الطفولة بين كامل كيلاني ومحمد الهراوي: دراسة تحليلية ناقدة، القاهرة، دار المعارف.
- 5- اسماعيل عبد الفتاح، 2000، أدب الأطفال في العالم المعاصر: رؤية نقدية تحليلية، ط 1، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب.
- 6- أحمد نجيب، 1991، أدب الأطفال، ط 1، القاهرة، علم وفن، دار الفكر العربي.
- 7- حسن شحاتة، 1994، أدب الطفل العربي: دراسات وبحوث، ط 2، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية.
- 8- عبد الفتاح أبو معال، 1988، أدب الأطفال: دراسة وتطبيق، ط 2، عمان-الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع.
- 9- محمد حسن بريغش، 1996، أدب الأطفال: أهدافه وسأته، ط 2، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.
- 10- هادي نعان الهيتي، 1986، أدب الأطفال: فلسفته، فنونه، وسائله، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة.

المجلات والمقتنيات:

1- عادل أبو شنب، 1975، أدب الأطفال في سوريا، مؤتمر الأدباء العاشر، ج1، ص191-200.

الرسائل الجامعية:

1- تامر المغاوري محمد الملاح، (2015-2016) الكمبيوتر في الطفولة المبكرة، ماجستير، مصر، تكنولوجيا التعليم، كلية التربية، جامعة الاسكندرية.

2- سميحة محمد علي محمد عطية، (2001)، إدراك الأطفال لشبكة علاقاتهم الاجتماعية: دراسة وصفية مقارنة، ماجستير، مصر، قسم الدراسات النفسية والاجتماعية، معهد الدراسات العليا للطفولة-جامعة عين شمس.